الاتجاه الإسلامي
في شعر محمد عبد المطلب

د/ حمدى عبد المجيد عبد الرحيم

محمد بن عبد المطلب بن واصل بن بكر • ولد ـ رحمه الله ـ سنة ١٨٧١م ببلدة « باصونة » احدى قرى مديرية جرجا من أبوين عربيين ينتميان الى عشيرة من عشائر جهينة فرع قضاعة •

نزل بعض جهينة مصر زمن الفتح ، وبعضها الآخر بعيد الفتح حينما أجلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ثلث قضاعة من الشام الى مصر ، واستقر منهم من استقر فى صعيد مصر بجهة سوهاى « سوهاج » وكان منهم جد محمد عبد المطلب •

وكان والد محمد عبد المطلب رجلا صالحا متفقها متصوفا فربى ابنه تربية اسلامية ، وساعده على تلك التربية ذكاء محمد عبد المطلب فحفظ القرآن الكريم دون أن يبلغ العاشرة من عمره • وأرسله أبوه الى الأزهر سبع سنين ثم انتظم فى سلك طلبة دار العلوم أربع سنين فتخرج على كبار العلماء من أمثلة الشيخ حسن الطويل ، والشيخ محمود العالم ، والشيخ سليمان العبد ، وغيرهم من أفاضل العلماء ، ثم عمل بعد تخرجه من دار العلوم مدرسا بالمدارس الابتدائية حيث قضى سبع سنين بمدينة سوهاج ، ثم نقل الى عدة مدارس ابتدائية وثانوية حتى اختير مدرسا بمدرسة القضاء الشرعى حيث اشترك فى تربية طائفة من القضاة ، ثم تحولت به الأحوال فاختير مدرسا فى دار العلوم فكان فيها منهل العرفان •

ولما شبت ثورة الاستقلال خاض عبابها أديبا قوالا ، وكان — رحمه الله — على خلق عظيم ، وحسن معاشرة ، وصلابة عقيدة • وكان حجة فى اللغة والأدب محيطا بأكثر جزلها وغريبها ، وكان شاعرا يبارى شعراء العصور السابقة لا يكاد سامعه يفرق بينه وبين شعراء القرن الثالث أو الرابع فجدد ما كاد يندرس من أساليب الشعر القديمة ، وأحيا كثيرا من غريب اللغة ، ونظم فى كثير من بحور الشعر، ومن يقرأ قصيدته العلوية فى مدح أمير المؤمنين على بن أبى طالب يشعر بالاجلال اكبارا للمادح والممدوح •

وكان محمد عبد المطلب شديد الحفاظ على شعائر الاسلام وآثاره عاملا على نشر آدابه فهو من أكبر أعضاء جمعية المحافظة على القرآن الكريم وجمعية الشبان المسلمين ، وجمعية الهداية الاسلامية ، وله فى كل منها آثار محمودة •

وكان شديد العصبية للأمة الاسلامية وقوادها فلا يكاد يسمع بحديث مزر حتى ينبرى للرد عليه(١) •

عاش محمد عبد المطلب ٦٠ عاما وقلمه لم يجف • وفى حياته كانت مصر محتلة من قبل الانجليز ومعروف أن المحتل لا يمكن أن يتغاضى عن الاسلام وعن المسلمين ، ذلك لأن الاسلام هو عدوه الألد وهو الصخرة التى تتحطم عليها آمال المعتدين مهما كانت أعدادهم وعددهم ، ومهما حاولوا صرف تلك العقيدة بوسائل الاغراء أو الوعيد(٢) •

---

(١) راجع ديوان عبد المطلب م ، ن ، س • شرح ابراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبى • الطبعة الأولى •

(٢) راجع أصداء الدين فى الشعر المصرى الحديث د• سعد الدين محمد الجيزاوى ص ١٦٩ •

ومن هنا أخذ الانجليز فى مقاومة كل حركة تدعو الى نشر الوعى الاسلامى فى مصر وغيرها ، ليضمنوا أن يتحكموا فى قيادة هذه البلاد فيستغلوا الموارد لصالحهم •

ومحمد عبد المطلب لم يفته أن يقاوم بالقلم تلك الأفكار التى يسعى الاستعمار من ورائها أن يغض من قدر الاسلام ويضعف المسلمين فاتجه نظره الى أن يسجل محاسن الاسلام • والى أبطال الاسلام فى عهده الماضى بعد أن فقد المسلمون أمثالهم فى العصر الذى كان يعيش فيه ، وبعد أن ضاقت النفوس بالاستعمار واستبداده • واستغل بعض المناسبات ، ليشيد من خلالها بمزايا الاسلام وفضل المسلمين الأوائل ، ولينشط المتقاعسين ليعيدوا للاسلام سيرته الأولى من القوة والمنعة والعزة •

ومن تصفح ديوانه يجد الكثير من القصائد الاسلامية فله قصائد يمدح فيها نبى الاسلام ﷺ — احداها : قالها سنة ١٨٩٩م وهى من اثنى عشر بيتا ومطلعها :

اليك أجل المرسلين مدائح توافيك ما غنى على الأيك صائح(٣)

وفى هذه القصيدة يبدو الشاعر مستشفعا أكثر منه مادحا فهو لم يذكر صفات الرسول — ﷺ — أو حياته الا ما يتعلق بالشفاعة اذ يبدأ من البيت الثانى فى ذكر ذنوبه وخطاياه تمهيدا للحديث عن الشفاعة فيقول :

ذنوب جناها وهو فى لجة الصبا
غريق وفى وادى الشبيبة سائح

---

(٣) ديوان عبد المطلب ص ٥٢ •

فكن يا شـــفيع المذنبين شـــفيعه
اذا شـــهدت يوما عليه الجـــوارح(٤)

وهذه القصيدة تجعلنا ننظر اليها لا من الناحية الفردية المحضة التى تبدو فى ظاهر أبياتها ، ففى زعمنا أن هذا المتشفع ليس الشاعر وحده ، وانما هو يقصد كل المسلمين الذين حادوا عن الحق،وتنكبوا طريق الاسلام وألهتهم الدنيا عن التمسك بأهدابه القويمة وهو يطلب الشـــفاعة عند الرسول — ﷺ — لهم كى ينجيهـــم الله ، ويكشف عنهم الغمة فيتمسكوا بدينهم الحنيف لعل الله ينقذهم من شرور الدنيا التى حاقت بهم . فهى وان كانت تحمل تجربة ذاتية فردية الا أنهـــا فى النظرة المتعمقة تحولت الى تجربة عامة تشـــمل كل المسلمين الذين يعيشون تحت نير الاستعمار .

أما المدحة الثانية فهى ظل البردة وأبياتها ثلاثة وعشرون ومائة بيت مطلعهـــا :

أغرى بك الشـــوق بعد الشـــيب والهرم
سار طوى البيد من نجد الى الهرم(٥)

ولعـــل الشاعر استهل قصـــيدته فى مدح رسول الله — ﷺ — استهلها بالغزل على عادة الشـــعراء القدماء فى استهلال قصـــائدهم بالغزل استمالة لأذهان السامعين كما فعل كعب بن زهير فى قصـــيدته المشهورة بانت سعاد،ولكن عبد المطلب لم يسرف فى الغزل حيث ينتقل بعد خمسة أبيات الى الحديث عن الدين القوى وما كان عليه العـــرب من الضلال والكفر والتفكك الاجتماعى قبل مجىء الاسلام فيقول :

---

(٤) ديوان عبد المطلب ص ٥٢ .
(٥) ديوان عبد المطلب ص ٢٥٧ .

لله أيـــام كنا والوجـــود لنا
يجرى القضاء بما شـــئنا على الأمـم
اذ يرفـــع الله بالدين الحنيف لنـــا
عـلى الذرى دولة خفـاقة العـــلم
فى ســـورة العز والمجد الذى سلفت
بشرا به غرر الأجيـال فى القـــدم
مجـد بناه الذى فاض الوجـــود به
نورا له قـــامت الدنيا من العـــدم
طه أبو القاسـم المبعـــوث من مضر
الى البـــرية من عرب ومن عجـــم
ولو ترى قبلـــه الدنيـــا وما لقيت
من البـــلاء وما ذاقت من النقـــم
والناس ضـــلال تفر فى مسـارحها
هيم من السرح أو غفل من الغنـم(٦)
ضلوا مسالك النهى فاستمسكوا عمهـا
بكل حبـل من الأهواء منجـــذم(٧)
هـــاموا بكل ســـبيل فى غياهبها
من يخطىء القصد فى ليـل الهوى يهم
فأوردتهم ظمـــاء كل مهتـــلك
يشـــوبه الكفر بالأقذاء والوخـــم
تفرقوا شـــيعا فى الكفـر وانقسموا
شتى فباءوا بمـــا يخزى من القســم

---

(٦) المسارح : المراعى ، والهيم : الابل العطاش ، والسرح : المال السائم ، والغفل : ما كان بلا راع .
(٧) منجذم : منقطع .

هـذا عن الحق بالأفـــلاك فى عمـة
وذاك بالنـــار عن نور الجـلال عمى
وذا يـؤله من لا يســـتجيب لـه
من ناطق بشر أو صـــامت صـــنم
قبـــائل وشـــعوب لا يعطفها
اخاء صـــدق ولا قربا من الرحـــم
وســوقة وملـــوك حـال بينهما
ما حال بين سباع الجـو والنعم(٨)

هذه القصيدة تذكرنا ببردة البوصيرى ، ولكن شتان ما بينهما فالبوصيرى يسترسل فى مـديح الرسول — ﷺ — منذ بداية القصيدة الى آخره أما عبد المطلب فانه يصنع موازنة بين ما كان وما هو كائن فلقد كان المسلمون فى منعة وسيادة وقوة ترهب الأعداء أما الآن فقد تمزقوا وتقسموا شيعا وأحزابا مما أضعف قوتهم وأخضعهم للمستعمر الأجنبى • ومن هنا ندرك أن عبد المطلب مازال يئن من خنوع المسلمين ، ولم يجد الخلاص الا فى رحاب الاسـلام اذا عدنا نستظل بظلـه ، ونستمسك بتعاليمه ، ونحكمه فى حياتنا كلهـا •

ثم ينتقل بعد ذلك الى الحديث عن موقف قريش مع الرسـول — ﷺ — وصبره معهم وهجرته ثم يختم القصيدة بأبيات عن غزوة بدر فيقـــول :

يا قـــائد الجيش يسعى تحت رايتـه
من عسكر الله جند غـــير منهـــزم
ان كان جبـريل من أركان حـــربك فى
بدر فحمـــزة والكرار فى الحشـــم

(٨) ديوان عبد المطلب ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ •

فى آلك الغـــر مذ كانوا وهم بشـــــر
ما فى المـــلائك من أيـــد ومن كـــــرم
ويا نبيـــــا ســـــقى الدنيا بملته
رونق الحضـــارة من سلسالها الشبم(٩)

وهنا نراه يختم هذه القصيدة بموقعة بدر وما ظهر فيهـــا من جلد المسلمين ، وتفوقهم فى القتال ، وانتصارهم على عدوهم ، لأنهم متمسكون بالاسلام حريصون على نصرته • وبذا تتم الرؤية الفنيـــة عند الشاعر فى أن الاسلام هو الملجأ •

ومن الملاحظ أن عبد المطلب استوفى القسم الأول من السـيرة النبوية الى الهجرة ، وإن كان لم يشر الى مسألة الاسراء والمعراج ، ولا بيعة العقبة •

وفى اعتقادنا أن هذه الأحداث التى أهملهـــا لا تخدم رؤيتـــه الفنيـــة ، ولا ترتبط بها ، لأنه أراد أن يقـــدم لنا الاسلام فى صـــورة الحصن المنيع الذى يجب أن نحتمى فيه من غوائل الدنيا ، فأخذ من الأحداث ما له ارتبـــاط بذلك وأسقط ما عـــداها فلا لوم عليـــه ، لأن الشاعر عند تكوين الرؤية الفنية لديه فى واقعـــه يأخذ من أحـــداث التاريخ ما يشرح هذه الرؤية ويوضحها وهذا ما فعله عبد المطلب •

أما القسم الثانى من حياة الرسول — ﷺ — بعد الهجـــرة ، وما كان من كفاح وغزوات ووفـــود فانه لم يذكر منـــه الا غزوة بدر فحسب وذلك لتحقق النصر الباهر فى أول معركة اصطدم دين التوحيد مع عباد الأصـــنام •

---

(٩) ديوان عبد المطلب ص ٢٦٤ • السلسال : الخمر الصافى ، والشبم : البارد •

ومن الجائز أن يكون استوفى بقية الموضوعات التى تكمل هذه القصيدة ولكنها ضاعت مع ما ضاع من شعره .

ومهما يكن من أمر فان ما بقى يقدم الرؤية كاملة مما يجعلنا نشك فى ضياع شىء منه ، وان كانوا قد أثبتوا بعض القصائد التى زعموا أنها ضاعت . فهذا لا ينهض دليلا على ضياع أبيات من القصيدة الميمية التى معنا .

ولعبد المطلب مدحة كبرى مكونة من أربعة وثمانين بيتا ومطلعها :

أرى العيش حسرى ما بهن ذماء فعدهن سلعا انهن ظماء(١٠)

وفى مقدمة من ستة وعشرين بيتا يسير منها فى فلك الأقدمين ، حيث أنه بدأ قصيدته بوصف الراحلة كما كانوا يفعلون ، وبعد هذه المقدمة ينتقل الى الحديث عن المولد النبوى الشريف وعن فتح مكة ، ولكنه صاحب قضية تشغله وهى حال المسلمين الذين حوله ممن تركوا الاسلام وعزته وخنعوا للاستعمار ، وضعفوا أمامه . فهؤلاء لكى نردهم الى صوابهم — فى نظره — يجب أن يعاملوا بالحسنى ويتغاضى عن انحرافهم حتى يعودوا الى حظيرة الاسلام ، لذلك نجده يختم القصيدة بقوله :

ومن يلق بالحسنى جهالة قومه
فهم بعد أعوان له خلصاء
كذلك أحلام النبيين اذا عنوا
فصفح جميل جامع ووفاء(١١)

---

(١٠) ديوان عبد المطلب ص ٣٠٩ . ذماء : بقية قليلة ، وسلع : موضع بالحجاز .

(١١) ديوان عبد المطلب ص ٣١٤ .

وللشاعر محمد عبد المطلب قصيدتان عرفتا بالعلويتين احداهما من سبعة وأربعين بيتا وعنوانها العلوية الأولى يقول فى مطلعها :

أصـــغر الأرض وما فيهـــا مقاما
فاعتلى يضرب فى السـحب الخيـاما
حسـد الطـير على الجو فسـر
عان ما حلق فى الجـو وحـاما
يزجر الريح فتجـرى تحتـه
أينمـا ولى بها تلوى الزمـاما(١٢)

ومما يؤخذ على عبد المطلب فى هذه القصيدة أن يتحدث عن صعود على الى السماء ، لأن فكرة صعود على الى السماء اما أن يكون الشاعر تأثر مما ورد فى القرآن الكريم عن صعود المسيح — عليه السلام — حين شبه الله به يهوذا فصلب بدلا منه ، ورفع الله المسيح اليه • وهذه حادثة فردية لا تتكرر فلا يصح للشاعر أن يشبه عليا به• واما أن تكون مستوحاه من معتقد النصارى الذين قالوا : ان المسيح بعد قتله وصلبه ودفنه خرج من المقبرة ، وصعد الى السماء وهذا معتقد فاسد من أساسه وأيضا لا يصح للشاعر أن يشبه به عليا •

واما أن يكون قد تأثر بالاسطورة التى روج لها الشيعة والتى كانوا يفسرون بها ظاهرة الرعد فى السماء فيقولون : انها ضحكة على •

وفى ذلك لو كان الشاعر يعتقد فى واحد منها فقد جانبه الصواب وحتى وان كان مقصوده رفع شأن على وتعظيم مستقره الأخير •

---

(١٢) ديوان عبد المطلب ص ٢٦٨ •

وفى هذه القصيدة يشير محمد عبد المطلب اشارة خفية الى سوء حال المسلمين بعد الاحتلال الأجنبى مصر ، ويصور تلك الحالة فيقول:

هـل درى أهـل المصلى أننا نرد العيش بوادينا سماما(١٣)
نطلب العزة فى ظل المنى ان فى ظل المنى موتا زؤاما(١٤)

وهو هنا يدعو الى الثورة على الأوضاع القائمة ، والسعى الى تغييرها بالعمل لا بالأمانى •

وهكذا يسير الشاعر فى خط واحد ورؤية تكاد تكون مكررة فى كل ما سبق عرضه ، وهى التصدى للأوضاع القائمة والرغبة فى تغييرها بالعمل الجاد •

وفى هذه القصيدة يذكر بلاد الحجاز ويتمنى أن يقبل أرض تلك البلاد ، ويتحدث عن زهد على فى الدنيا وكرمه ، ويأخذ فى ذكر بعض صفاته ، ويلجأ فى القصيدة الى السرد التاريخى ويركز على موقفه أثناء الهجرة فى ختام القصيدة فيقول :

وهو النائب عن أحمد اذ ودع البطحاء والبيت الحراما
باع فى نصر رسول الله نف سا لغير الله جلت أن تساما(١٥)

وان كنا نستنتج شيئا فاننا نلمح الاشادة بالبطولة التى بدت فى أفعال على والتضحية التى ينبغى أن يتحلى بها كل مسلم فى نصرة الدين والحفاظ عليه ، واعلاء شأنه • وان كان هذا ملمح واهن باهت الا أنه موجود على كل حال •

---

(١٣) سمام : جمع سم •
(١٤) ديوان عبد المطلب ص ٢٦٩ •
(١٥) ديوان عبد المطلب ص ٢٧٠ •

وفى العلوية الثانية التى ألقاها فى حفل أقيم بالجامعة سنة ١٩٦٩م برياسة اسماعيل صبرى فى هذه العلوية تناول سيرة الامام على ـ كرم الله وجهه ـ منذ صباه واسلامه والغزوات التى اشترك فيها وجهاده وخصاله وخلافته الى أن قتل ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ ثم ختم القصيدة برثاء الامام .

وهذه القصيدة مكونة من سبعة وثلاثمائة بيت يقول فى مطلعها :

أرى ابن الأرض أصغرها مقاما فهل جعل النجوم بها مراما(١٦)

ولقد أطنب وأسهب فى سيرة الامام ـ كرم الله وجهه ـ فبعد أن تحدث عنه فى صباه واسلامه انتقل الى الحديث عن استخلافه ليلة الهجرة ، وأيامه بالمدينة ، وبطولته فى أحد ويوم الخندق ويوم خيبر ، وقتله مرحب بن منسية ، وزعامته فى المواطن والمغازى ومواقفه فى السلم ، وجوده وقيامه الليل ، واختلاف المسلمين فى الخلافة ومبايعته وحروبه مع أهل الشام ثم ختم القصيدة بهذه الأبيات :

بنى العدل ان شئتم قصاما
كفى بكتاب ربكم اماما
كتاب الله لا تغلوا فانى
أخاف عليكم ألا يقاما
مضى زين الصحابة فى سبيل
الى ملأ بخيرته استهاما
الى دار السلام مضى على
وجاور فى منازلها السلاما(١٧)

---

(١٦) ديوان عبد المطلب ص ٢٣٠ . جعل بها : استبدل بها .
(١٧) ديوان عبد المطلب ص ٢٥٠ .

وهذه القصيدة وان وقفت عند السرد التاريخى غير أنها لم تبخل علينا باشارات موجزة عن قضيته الأساسية التى يدعو اليهـا وهى التمسك بالعدل المستقى من الدين والقرآن ففيه عزة المسلمين والاسلام.

وفى هذه القصيدة اشتملت على كثير من المفردات العربية وظهرت فيها معارف محمد عبد المطلب التاريخية والاسلامية وسيرة صـحابة رسول الله — ﷺ — وهى من أشهر قصائد عبد المطلب .

وموقف عبد المطلب من الخلافة العثمانية موقف يشـهد له على حرصه على الاسلام وعلى الترابط بين المسلمين .

فمعروف أن الاستعمار حاول قدر طاقته أن يفصل الرابطة بين الخلافة العثمانية ومصر وغيرها من الأمم التى تظلها الراية الاسلامية الموحدة لها تحت سلطان الخليفة ونجح الاستعمار فى تفتيت وحـدة الأمة الاسلامية عن طريق المؤامرة التى أحدثت انقساما فى العـالمين العربى والاسلامى ، فمنهم من وجد الفرصة لكى يتخلص من التبعيـة للحكم التركى العثمانى ، ومنهم من رأى العزة والمنعة فى بقاء الخلافة العثمانية مهيمنة ومسيطرة وموحدة للعالم الاسلامى والعربى ، ومنهم شاعرنا محمد عبد المطلب الذى يظهـر اتجاهه السياسى فى قصـائده التى تحدث فيها عن الخلافة العثمانية ، ولذلك فاننا نجد له فى ديوانه خمس قصائد فى الخـلافة العثمانية نبدأها بالقصيدة التى يقـول فى مطلعهـا :

يا عيد حى وأنت خير نهـار عبد الحميد بدولة الأحرار(١٨)

وهى فى تهنئة السلطان عبد الحميد بعيد الدستور .

---

(١٨) ديوان عبد المطلب ص ٩٣ .

والثانية فى ثورة البلقان التى اعتدوا فيها على الأطفال والنساء، وكانت فى سنة ١٩٠٨م وقد قام الجيش برد العدوان والانتقام من المعتدى يقول فى مستهلها :

صريف المنايا يا أم صليل الصوارم وليل الرد أم نقع تلك الملاحم(١٩)

وفيها تحدث عن الاسلام الذى ظن به الأعداء سوءا :

فان حسبوا الاسلام لانت قناته فمازال دين الله صلب المعاجم(٢٠)

والثالثة فى تهنئة الطيارين العثمانيين يقول بعد أن يشيد بالطيارين :

يا دولة الاسلام هبى يا كوالبه أنيرى
مدى جناحيه على النسرين والشعرى العبور(٢١)
فلعل دائره تجسد عهوده بعد الدثور(٢٢)

والرابعة بمناسبة انتصار الترك على اليونان .

وكذلك الخامسة ومطلع الرابعة :

رويدك لا عداء ولا محالا وحسبك لا طراد ولا نزالا(٢٣)

ومطلع الخامسة :

هذا مقامك شاعر الاسلام فقف القريض على أجل مقام(٢٤)

---

(١٩) ديوان عبد المطلب ص ٢٧١ . الصريف : الصوت ، والنقع : الغبار ، والملاحم : المواقع .
(٢٠) ديوان عبد المطلب ص ٢٧١ .
(٢١) النسران : كوكبان ، والشعرى : الكوكب ويلقب بالعبور .
(٢٢) ديوان عبد المطلب ص ٩٨ .
(٢٣) ديوان عبد المطلب ص ١٩٨ .
(٢٤) ديوان عبد المطلب ص ٢٥٣ .

وكانت هذه الحقبة من حياة عبد المطلب من أحفل الحقب التى تدعو الى الالتجاء الى استثارة العاطفة الاسلامية للتقريب بين الشعوب الاسلامية • فقد كان الى جانب ضغط الاستعمار على مصر ، والاشتباكات الحربية بين الترك واليونان كان الى جانب ذلك فى كل بلد تستظل براية الخلافة العثمانية أطماع للأوربيين •

ففي شهر نوفمبر سنة ١٩١١م أعلن ملك بريطانيا أن طرابلس أصبحت تابعة للحكم الايطالى ، وكان هذا الاعلان من الأشياء التى حركت عاطفة عبد المطلب فأنشد قصيدتين يقول فى احداهما :

بنى أمتنا أين الخميس المدرب ... وأين العوالى والحسام المذرب(٢٥)

والثانية يقول فى مطلعها :

هى الهيجاء كم طحنت قرونا ... وكم سحنت حوادثها قرونا(٢٦)

وهناك كثير من المناسبات التى تتصل بالاسلام ، والتى تثير العاطفة ومن هذه المثيرات ارتداد رجل عن الاسلام فما كان من عبد المطلب الا أن دعاه الى العودة الى حظيرة الاسلام مبينا له مزايا الاسلام ومطلع هذه القصيدة :

أيحلو لها هذا التنائى فتهجع ... ومنزلها بين المنازل بلقع(٢٧)

وفيها يقول :

دعوت أخا الآداب دعوة مشفق ... وعهدي به ذاك السميع السميذع(٢٨)

---

(٢٥) ديوان عبد المطلب ص ٢٥ • الخميس : الجيش ، وذرب السيف : أحده •

(٢٦) ديوان عبد المطلب ص ٢٨٥ ، السحن : الدق والكسر •

(٢٧) ديوان عبد المطلب ص ٨٤٦ •

(٢٨) السميذع : السيد الكريم الشريف السخى •

أخا الأدب المعـــروف والسـيرة التى
لهـا طيب نشر بيننـا يتضـــوع
فلم أستطع صـبرا على لـوعة الأسى
وأنت خبـــير بالأسى كيف يصـــنع
فدونك قـــولا لا تمل اســـتماعه
عليه من الاخلاص ثوب موشـــع(٢٩)
شريعتنا فيمـــا علمت قـــويمة
بأحكامها نـــور الحقيقة يســـطع
وملتنا البيضـــاء هل ثم غـــيرها
ـ هديت ـ الى دار السعادة مهيع(٣٠)
فان كـنت فى شـك فمـــا أنت بالذى
له شـــبه الجهال فى الحق تخـــدع
أعيـذك من قـــوم ترى الحق بينهم
صريحا وهم فى ظلامـــة الغى هجع(*)

نظرة فنية فى شـعره :

اذا ما نظرنا الى شعر محمد عبد المطلب من جهة نظام القصيدة فاننا نجده لم يلتزم بالمقدمات الغزلية التى كانت تستغرق عند غـيره ما يقرب من نصف القصيدة أحيانا .

فهو ان قدمها فى بعضـها لم يسرف فى هذه المقـدمات بل انه أهملها كلية فى بعضها الآخر ، وعلى ذلك نستطيع القـول : انه حذا حذو الأقدمين فى دقة بل جاراهم أحيانا وجافاهم فى كثير من الأحيان .

---

(٢٩) وشع الثوب توشيعا : أعلمه .
(٣٠) المهيع : الطريق .
(*) ديوان عبد المطلب ص ١٤٧ .

فبينما نراه يتغـزل فى ستة وعشرين بيتـا من مطلع قصـيدته البالغة أربعة وثمانين بيتا :

أرى العيش ما بهـن ذمـــاء فعدهن سلعا انهن ظماء(٣١)

اذا به لا يتجاوز خمســة أبيات فى مطلـع قصيدته ظـل البردة البالغة ثلاثة وعشرين ومائة بيت :

أغرى بك الشـوق بعد الشيب والهرم
سار طوى البيد من نجد الى الهرم(٣٢)

واليك واحدة مما ترك فيها المقدمات الغزلية :

اليك أجـــل المرسـلين مـدائح
توافيك ما غنى على الأيك صائح(٣٣)

وظهرت فى شعره الألفاظ الرصينة التى تمثل حياة البـادية فى أبرز صورها ، والتى تعد غريبة بالنسبة لنا •

ومن الطبيعى أن تظهر هذه الألفاظ ، وتأخذ مـكانها فى لون من الشعر ارتبط بالاشادة بالاسلام واسترواح ذلك فى ذكريات العروبة التى نشأ الاسلام فى خلالها والبقـاع التى انبثق نوره منها هـداية للعالمين خاصة لدى عبد المطلب الذى نشأ فى أسرة متمسكة بتعـاليم الدين والذى درس علوم العربية القديمة •

ففى قصيدته العلوية نجده يستعمل من الألفاظ الغريبة ما تحتاج الى قاموس فى تفسير معناها مثل لفظ (انتخاما) فى قوله :-

---

(٣١) ديوان عبد المطلب ص ٣٠٩ •
(٣٢) ديوان عبد المطلب ص ٢٥٧ •
(٣٣) ديوان عبد المطلب ص ٥٢ •

وأقبلت الصوارم والمنـــايا لحرب الله تنتحم انتحاما(٣٤)

ولفظ (ازدئاما) فى قوله :

وما زأمـــوا ولـــرب بـــأس لهم يقضى به الليث ازدئاما(٣٥)

ولفظ (اصطلاما) فى قـــوله :

اذا رفـــع الاله بنى قـــوم فأنذرهم بلاء واصطلاما(٣٦)

ومن يطالع ديوانه يجـــده يستخدم الألفاظ الغريبـــة ، وغرابة اللفظ انما تقاس بالمثقفين ، وليس بالانسان العامى ، والكلمة الغريبة هى التى لا يكثر دورانها فى الشعر والأدب ، لأن صفة الغرابة ليست صفة لازمة ، وانما تصبح الكلمة غريبة عندما تهجر ولا تستعمل فى الأداء الفنى ، فاذا استعملت زالت عنها صفة الغرابة ، ولذلك يباح لفحول الشعراء ايراد بعض الكلمات المهجورة فى قصائدهم لتزول عنها صفة الغرابة بشرط عدم الاكثار فى القصيدة الواحدة ، ولعل عبد المطلب من هؤلاء الذين يعنيهم تجـــديد اللغة واحيـــائها ، ولعل فى تربيتـــه وثقافته ما يجعله حريصا على الكلمات القديمة ، واعادة بعثها وعلى أية حال فهو لا يعاب فيما صنع مادام غير مسرف فيما استخدمه من كلمـــات غريبة .

وهو لم يكن متوعرا فى اللغة على سبيل الاطلاق أو لهدف التوعر وحده فهذه الألفاظ الوعرة لم تستغرق شعره كله بل انه يستعمل بعض

---

(٣٤) ديوان عبد المطلب ص ٢٣٢ . الانتحام : الصوت والجلبة من النحيم وهو صوت الفهد ونحوه .

(٣٥) ديوان عبد المطلب ص ٢٣٣ . زأمه : أفزعه ، والازدئام : افتعال منه .

(٣٦) ديوان عبد المطلب ص ٢٣٦ . الاصطلام : الاستئصال .

الألفاظ السهلة الميسورة استمع اليه فى نشـــيده للشبان المســـلمين تجـــد السهول :

داع دعا العليـــا دعـــا يدعو بينها مســـــمعا
يدعو الشباب الأروعا يدعو شباب المسلمين(٣٧)

وقد غلبت عليه ثقافته فى لفظة أروعا غـــير أنها تفهم من سياق الـــكلام •

ومن المعروف أن العاطفة ركن هام من أركان الشـــعر ، وعنصر لا يمكن اغفاله أو التغاضى عنه • فالعاطفة شحنة داخليه تدفع الشاعر الى انتقاء الألفـــاظ التى تنقل أحاسيسه ، وتجعـــل غيره يحس به ، والعاطفة تأخذ لون العامل المؤثر فى الوجدان ، ومن ثم كانت العاطفة الاسلامية أقوى العواطف المؤثرة فى سلوك عبد المطلب •

واذا ما استعرضنا ديوانه فاننا نلاحظ أن هذا الشعر كان الدين هو المثير الأول لانشائه ويمكنك أن تقرأ ما سقناه من أمثلة أو قصائده الـــواردة فى صـــفحات ٥٢ ، ٨٢ ، ٢٣٠ ، ٢٥٠ ، ٢٥٧ ، ٢٦٨ • ٣٠٩ ٣١٥ فى ديوانه لتتعرف على كثب العاطفة الاسلامية الجياشة •

فعبد المطلب عاش فى العاطفة ولها • أنشد جل قصـــائده وهو خاضع لهذا الوجدان لا يريم عنه فبالجملة كانت قصـــائده تصدر عن حب للاسلام ، ولجوء اليه عند الملمات ورؤيته على أنه المخلص والمنقذ من بوائق المجتمـــع •

ومن الجدير بالذكر هنا أن نقول : ان عبد المطلب سار على نظام

---

(٣٧) ديوان عبد المطلب ص ٢٩٩ • الأروع : من يعجبك بحسنه أو لشجاعته •

القصيدة العربية القديمة من حيث وحدة الوزن والقافية فاذا ما طالعت قصيدة من قصائده تجد الموسيقى الظاهرة التى تسرى فى روحها ، وتحس بالتناسق الفنى المتنوع حسب المعنى الذى يريد أن يعبر عنه• استمع اليه وهو ينظم تلك القصيدة التى أنشدها لما ثارت الحرب بين انترك وايطاليا بطرابلس الغرب وهى من الطويل يقول فيها :

وأين النفـــوس اللاء كن اذا دعـــا
الى الله داعى الموت فى المـــوت ترغب
وأيـــن الجيـــاد اللاء كانت اذا
دعا المثـوب خيـــل الله لله تركب(٣٨)
وأين الليـــوث الغلب فى كل مـرقب
يهول العدا منهـــا ربوض ووثب(٣٩)
وأين بنو الغـــارات يبتـــدرونها
وجنـــد المنـايا حـولها يتكوكب
وأين قلـــوب يشهد الصـــخر أنها
غداة الوغى منه أشـــد وأصلب(٤٠)

فهنا نحس بالنفس الطويل الممتد فى أنين متوجع متصل مما أفسح له المجال فى تصوير عواطفه وأحاسيسه المتناعة ، فأنت ترى الشـاعر قد تأججت عاطفته ثم نقلها الينا فى نغم حزين تظهر فيه ألفاظ الأسى والألم مثل قوله : داعى الموت ، فى الموت ترغب ، الليـوث الغلب ، يهول العدا منها ، ربوض ووثب ، بنو الغارات ، جند المنايا ، غـداة الوغى ، أشـد وأصلب •

---

(٣٨) المثوب : المستغيث يلوح بثوبه طلبا للاستغاثة •
(٣٩) الغلب : جمع أغلب وهو القوى من الأسد •
(٤٠) ديوان عبد المطلب ص ٢٥ ، ٢٦ •

وهذه الموسيقى الخفية التى تدفع الشاعر الى أن يختار من الألفاظ ما يكون صدى لعواطفه • وايحاء بمشاعره فى صدق ، وهذا التناسق الموسيقى يمكن أن نقول عنه : انه يدل على صدق التجربة الشعرية عند محمد عبد المطلب •

ولا يفوتنا أن نشير الى أن الشاعر له الى جانب القصائد التى سار فيها على نظام القصيدة العربية القديمة من حيث وحدة الوزن والقافية له الى جانب ذلك بعض الأناشيد سارت على نظام المربعات مثل نشيده الى جمعية الشبان المسلمين :

داع أهاب من العلا حيران يهتف معولا
ذكر الزمان الأولا فبكاه بالدمع الهتون(٤١)
صوت من المجد التليد عال يدوى فى الوجود
أين القساورة الأسود هان الحمى وخلا العرين(٤٢)

وهنا نجده قدم لنا قصيدة مكونة من مقطوعات تقوم كل مقطوعة على اتحاد الأشطر الثلاثة الأول على حرف واحد وفى الشطرة الثانية من البيت الثانى حرف النون التزمه فى الأشطر فى المقطوعات وان غير فى الأشطر الأولى فلم تأت على حرف واحد فى كل المقطوعات بخلاف النون التى التزمها فى الشطر الرابع الى نهاية القصيدة •

والصور تستمد من المعلومات والتجارب ، والذى يوجه هذه الصور العاطفة • وكما قلت : ان عاطفة عبد المطلب الدينية كانت لها أثر كبير فى شعره ، واليك هذه الصورة التى يصور فيها الاسلام قديما وما آل اليه بسبب المسلمين الذين انحرفوا بغيا عليه :

---

(٤١) الهتون : المدرار •
(٤٢) ديوان عبد المطلب ص ٢٩٩ •

أكل يـــوم لنا فى الدين مـــرزئة
تهتز من وقعهـا الدنيا وترتعـــد(٤٣)

فى كل واد عـــلى الاســـلام منتحب
وكل واد به للـــدين مفتقـــد

مستوحشا فى ديـــاركم قضت حقبـا
فى ظلـه سروات الأمن تقتعـد(٤٤)

يســـعى الفساد اليه غـــير متئد
لمـا رأى أهـــله فى نصره اتـأدوا

يا منزل الدين أهل الدين قد خرجـوا
بغيا عليه وعن منهـــاجه حردوا(٤٥)

فالشاعر هنا يصور الأمن فى ظل الاسلام بالمركب الذلول السهل، فهو لا يمز على المقتعد ولا يجمح به وفى هذا من الاشارة الى انتشار العدل والسلام فيه ولكن للأسف فان الفساد يسعى اليه بسرعة لما رأى أهله تمهلوا فى نصره • أهله الذين خرجوا عن منهاجه ، ولعل الذى أوحى اليه بتلك الصورة ما رآه من حال المسلمين وضعفهم •

وفى شعر محمد عبد المطلب محسنات بديعية غير متكلفة ، لأنهـا جاءت قليلة أولا وثانيا جعلها فى خدمة فكره ووجدانه ، ومن هـذه المحسنات ما نجده من طباق فى قوله :

مدائح يهديها امرؤ عبـــرانه على ما مضى منه غواد روائح(٤٦)

---

(٤٣) المرزئة : المصيبة •
(٤٤) السروات : جمع سراة وهى الظهر ، وتقتعد : تتخذ قعدة أى مركبـا •
(٤٥) ديوان عبد المطلب ص ٨٣ • حرد الرجل عن قومه : اعتزلهم •
(٤٦) ديوان عبد المطلب ص ٥٢ •

نراه فى هذا البيت يبكى على الماضى والحاضر • الماضى العزيز الكريم الذى ذهب وضاع فلم يبقى منه سوى الحسرة عليه والحاضر الذليل المهان • فهو يبكيه اشفاقا عليه ولعلك تلاحظ ما بين الموقفين من تناقض وان كان يبكى عليهما معا • فلم يجد خيرا من الطباق يعبر به عن هذا التضاد الموجود فى حياته من الطباق الذى استخدمه فى قوله عواد روائح •

ومن المحسنات البديعية قوله :

ويرفع فى طى النسيم لطيفة حوائج نفس أثقلتها الجوائح (٤٧)

لعلك تلحظ الموسيقى المنسجمة فى الجناس الموجود فى البيت فى قولة حوائج وجوائح ؛ والمنسجمة مع احساسه اللهفان المتطلع الى الحوائج التى تسعد حاضره •

وبالجملة فان شعر محمد عبد المطلب ينبع من احساس صادق بعظمة الاسلام • وقدرته على تغيير الواقع المرير وايمانه بأنه المنجاة الوحيد والأخير لكل المسلمين اذا أرادوا النجاة من أهوال الدنيا التى تحيط بهم •

---

(٤٧) ديوان عبد المطلب ص ٥٩ • الجوائح : جمع جائحة وهى الشدة والنازلة المظلمة •